وضع المواد الدراسية لتعليم اللغة العربية في الهند ودور الاستاذ محمد الرابع الحسني الندوي فيه

د. عبد القدوس *

الملخص:

شكّل إعداد المواد الدراسية وتحديد المقررات محورًا أساسيًّا في تعليم اللغة العربية منذ بداياتها في الهند، حيث برزت الحاجة الماسّة إليها لتلبية متطلبات الأجيال الناشئة وسدّ الفجوة التعليمية التي كانت قائمة في المؤسسات التربوية المنتشرة في أرجاء البلاد. وانطلاقًا من هذا الشعور بالضرورة، بادر الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي بتأليف سلسلة *قصص النبيين للأطفال* في عدة أجزاء، حازت على قبول واسع في الأوساط التعليمية. تلتها سلسلة أخرى لتعليم اللغة العربية بأسلوب حديث وراقٍ، حملت عنوان *القراءة الراشدة* في ثلاثة أجزاء، ثم واصل على هذا النهج فألّف كتابًا مميزًا لطلاب المستويات المتقدمة بعنوان *مختارات من أدب العرب* في جزأين.

وفي السياق ذاته، أدرك الأستاذ الشيخ رابع الحسني الندوي – إلى جانب عدد من المهتمين باللغة العربية في شبه القارة الهندية في العصر الحديث – هذه الحاجة الملحّة، وأسهم بدور فاعل في هذا المجال. لم يقتصر عمله على التدريس، بل انخرط بعمق في تطوير مناهج اللغة العربية ووسائل تدريسها بما يتناسب مع متطلبات العصر، وسعى إلى توفير المواد التعليمية المناسبة. وقد أولى اهتمامًا خاصًا بتأهيل الطلاب للتمكن من الاستفادة المباشرة من المصادر الأصلية، ولمواجهة تحديات العصر على قدم المساواة.

تميّزت جهود الشيخ رابع بالحكمة وبعد النظر، إذ أدرك الفراغ الكبير في تعليم اللغة العربية آنذاك، فنهض بإرادة صادقة لسدّه، مستكملًا مهمة لطالما شعر بها المعنيون وكانوا في حاجة إلى من يضطلع

* المدرس المشارك، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند.

بها بكفاءة. ومن أبرز إسهاماته في هذا الميدان :*منثورات من أدب العربي، مختار الشعر العربي، تاريخ الأدب العربي، الأدب العربي بين عرض ونقد، ومعلم الإنشاء.*

الكلمات المفتاحية:

المقررات الدراسية، المناهج التعليمية، الشيخ رابع الحسني، منثورات من أدب العربي، مختار الشعر العربي، تاريخ الأدب العربي، الأدب العربي بين عرض ونقد، معلم الإنشاء.

لقد كانت اللغة العربية ولاتزال جزءا لا يتجزأ من المجتمع الإسلامي، ولها أهمية كبيرة في حياة المسلمين في جميع أنحاء العالم، وإنها مهمة في حياة المسلمين في شبه القارة الهندية أيضا، وهي لغة دينهم وثقافتهم ودستورهم الديني، وقد حكم العرب في منطقة السند حوالي قرن ونصف "بقي الحكم للعرب في السند قرنين ونصف قرن" [١] ولكن لم تكن اللغة العربية لغة رسمية في البلاد أبدا إلا أن أهالي السند ينطقون بها خلال الحكم العربي في السند " يشهد الاصطخري أن لسان أهل المنصورة والملتان ونواحيها العربية والسندية"[٢].

على الرغم من كل ذلك، لم يتم تعليم اللغة العربية، ولا تنظيم نظام تدريسها، منذ البداية، على نحوٍ يوازي تعليم المواد الأخرى. فلم تتوفر المقررات الدراسية الملائمة لتدريسها وفق مقتضيات تعليم اللغة، بل كانت تواجه دائمًا نقصًا في المواد المناسبة للمستوى الذهني للطلاب في كل عصر من عصورها في البلاد. وذلك رغم غنى اللغة العربية ووفرة ما أُلف فيها من كتب في شتى الموضوعات عبر تاريخها في الهند، بما في ذلك كتب الحديث، والسيرة النبوية، والمغازي، والتاريخ الإسلامي، إلى جانب مؤلفات كبار المفكرين المسلمين.

ولم يفكّر مسؤولو التعليم والتربية في شبه القارة الهندية في الاستفادة من هذه الثروة العظيمة لتدريس اللغة العربية بطريقة فنية مناسبة لتعليمها لغير الناطقين بها، بل اعتمدوا على بضعة كتب في النثر والنظم، فظلّ الأدب العربي محصوراً في عدد محدود من الكتب ذات أسلوب عقيم، مما أدّى إلى ترسيخ صورة سلبية عن هذه اللغة وآدابها، والتشكيك في قوة بيانها، وصلاحيتها للتأليف،

[١] أحمد جميل، حركة التاليف في الإقليم الشمالي الهندي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان، ص 6
[٢] المسالك والممالك: 105، نقلا عن أحمد جميل، حركة التاليف في الإقليم الشمالي الهندي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان، ص 6

وقدرتها على مواكبة مستجدات العصر. وقد عززت هذا الظن المؤلفات التي ألّفها علماء الهند آنذاك بالعربية، إذ افتقرت إلى الجدة والطرافة، فبدت كأنها هياكل عظمية بلا روح ولا دم.

كان من المفروض للمسؤولين أن يستفيدوا من هذه المكتبة العامرة بالكتب العربية ويستعينوا بها في تدريس اللغة العربية وآدابها، وتنمية ملكة البيان فيها، وتطوير مناهج تعليمها المؤثرة، والقيام بإعداد كتب أدبية أفضل من الكتب والمنتخبات التي كانوا يدرسونها، أفضل منها في الناحية الأدبية والفنية، وفي الناحية الخلقية والدينية، ولكن لم يتم الاستفادة منها في التدريس والبحوث العلمية.

إلى جانب كثير من المهتمين باللغة العربية في شبه القارة الهندية في العصر الحديث، شعر الأستاذ الراحل أبو الحسن علي الحسني الندوي أيضًا بضرورة إصلاح مناهج تعليم اللغة العربية، فبذل جهودًا جبارة، ولعب دورًا مهمًا في هذا المجال. فقد وضع مقررات دراسية ملائمة، وسعى إلى تجديد مناهج تعليم اللغة العربية وطرائق تدريسها بما يتماشى مع مقتضيات العصر، كما عمل على توفير المواد التعليمية المناسبة.

وكان هاجسه الدائم هو النهوض بمستوى اللغة العربية في الهند، وتربية الجيل الناشئ وإعداده ليكون قادرًا على الاستفادة من المصادر الأصلية لفهم الدين الإسلامي فهمًا صحيحًا، والدفاع عنه بعلم وبصيرة. ومنذ تخرّجه وحتى وفاته — أي على مدى أكثر من سبعة عقود — لم يقتصر جهده على التدريس فحسب، بل كان أيضًا منغمسًا في التفكير الجاد في تطوير تعليم اللغة العربية لطلاب المدارس والمعاهد، وإعداد أجيال قادرة على مواجهة تحديات العصر، والوقوف على قدم المساواة مع غيرهم من الأمم.

كان الشيخ محمد رابع الحسني الندوي من أبرز المهتمين باللغة العربية في الهند في عصره، ومن أبرز الساعين إلى نشرها وتعزيز مكانتها. وقد كان نجمًا لامعًا في سماء العلم والمعرفة، والأدب والفن، والنقد والفكر، والتاريخ والسيرة. جمع بين صفات الكاتب البارع، والصحفي المتمرس، والمفكر الكبير، والمربّي القدير، والمصلح الاجتماعي، والمجدد في ميدان التعليم. امتلك معرفة عميقة بآداب اللغة وفنونها، وانساب من قلمه مقالات قيّمة، ورسائل نفيسة، ومؤلفات مهمة في ميادين التعليم والتربية.

نشأ الأستاذ رابع في أسرة علمية أدبية، وترعرع في بيئة من الطهارة والصلاح، والورع والتقوى. وتتلمذ على يد خاله العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، فقرأ عليه كتب الأدب واللغة والعلوم الشرعية، ولازمه في أسفاره ورحلاته.

تخرّج في ندوة العلماء عام ١٩٤٨م، وعُيّن مدرسًا لمادة اللغة العربية وآدابها في عام ١٩٤٩م، ثم أستاذًا مساعدًا للأدب العربي عام ١٩٥٢م، فرئيسًا لقسم الأدب العربي عام ١٩٥٥م، وعميدًا لكلية اللغة العربية وآدابها عام ١٩٩٨م، ثم مديرًا لدار العلوم التابعة لندوة العلماء عام ١٩٧٠م، فشغل منصب نائب رئيسها عام ١٩٩٣م، ثم رئيسًا عامًا لها عام ٢٠٠٠م. كما اختير رئيسًا لهيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند عام ٢٠٠٣م.

تقديرًا لأعماله في خدمة اللغة العربية منحه رئيس جمهورية الهند جائزة تقديرية عام ١٩٨٢م، ومنحه المجلس الهندي لأترابرديش جائزة تقديرية لخدماته في مجال الأدب العربي، وكذلك منحته مكتبة رضا برامفور في ولاية أترابراديش جائزة تقديرية، علاوة على ذلك كان له إنجازات كثيرة في مجالات مختلفة أيضا.

لقد لعب الأستاذ الندوي دورًا بارزًا في نشر العلم والمعرفة، وتطوير الحياة الفكرية في الهند، كما أسهم إسهامًا كبيرًا في نشر اللغة العربية فيها عبر وسائل متعددة، من أبرزها: تحديد المناهج التعليمية وتجديدها، وإعداد المواد الدراسية المناسبة وتقديمها إلى المؤسسات التعليمية العربية المنتشرة في مختلف أنحاء البلاد. كما عمل على توفير المنصات لطلاب اللغة العربية لممارسة الكتابة وصقل مواهبهم من خلال إصدار الصحف والمجلات. وكان له دور فعّال في تجديد طرائق تدريس اللغة العربية بما يواكب مقتضيات العصر، وتحديث مناهجها بما يجعلها أكثر فاعلية واستجابة لحاجات المتعلمين، وكان له موقف واضح حولها يقول الاستاذ الرابع:

" إن للمنهاج التعليمي والتربوي اتصالاً وثيقاً بأهداف التعليم والتربية، وهو يصبغ الطالب بصبغة يريدها واضعو المناهج، وتتكون الأجيال وفق المقررات الدراسية التابعة له، فلا بد من رعاية هذه العلاقة التي توجد بين المناهج والنتائج، ومن الضروري أن توضع المناهج حسب الأهداف المطلوبة، يفضل المعنيون بالتعليم والتربية مناهج ومقررات تعكس الطموحات والقيم التي يتواضع عليها مجتمعهم ويختارونها حتى يبنوا جيلهم الناشئ بناء يحقق الصورة التي يريدونها لازدهاره وتقدمه،

ولكن إعداد هذه المناهج والمقررات وتحديدها يتوقف على إدراك مشاكل المجتمع وقضاياها إدراكا واقعيا"[٣].

وسدًّا للفراغ الكبير في مجال تعليم اللغة العربية في شبه القارة الهندية، قام الأستاذ الندوي بإعداد سلسلة من كتب اللغة العربية والأدب العربي، فقام بنشرها وتقديمها إلى المعاهد التعليمية في أنحاء البلاد، مع الحرص على أن تكون ملائمة لنفسيات الدارسين ومستوى فهمهم وقدراتهم العلمية والعقلية. وقد جاءت هذه المؤلفات بأسلوب علمي رصين، وتعبير جميل رشيق، اتسم بعفّة القلم، وصفاء الفكر، وسداد النظر، وصواب الرأي، مع الابتعاد عن الزخرفة اللفظية، والتعقيد، والتكلّف، والتصنّع.

نظرًا للحاجة الملحّة إلى إعداد مواد دراسية ومقررات مناسبة لتعليم اللغة العربية، ولسدّ الفجوة التي كانت قائمة في المؤسسات التعليمية المنتشرة في أنحاء البلاد، بادر الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي بتأليف سلسلة *قصص النبيين للأطفال*، ملتزمًا فيها بأسلوب سهل يلائم نفسية الطفل، وقد صدرت في عدة أجزاء ولاقت قبولًا واسعًا.

ثم ألّف سلسلة تعليمية أخرى لتدريس اللغة العربية بأسلوب حديث وراقٍ، عُرفت باسم *القراءة الراشدة*، جاءت في ثلاثة أجزاء. وتدرّج على هذا النهج، فألّف كتابه المعروف لطلاب المستويات العليا *مختارات من أدب العرب* في جزءين، جمع فيهما نصوصًا مختارة من الأدب العربي النزيه والهادف، مع عناية خاصة بالخصائص الفنية للنصوص، ليخدم هدفين رئيسين: تنمية المعرفة الأدبية، وتعزيز التربية السليمة.

وقد سار الأستاذ محمد رابع الحسني الندوي على درب أستاذه وواصل مسيرته، فبذل جهودًا حكيمة، إدراكًا منه لحجم الفراغ الذي كان يعانيه تعليم اللغة العربية آنذاك. لقد أدرك حاجة المسؤولين إلى من يعينهم في هذا المجال بعقل راجح وفكر تربوي ناضج، فقام بهذه المهمة خير قيام.

ومن أبرز مؤلفاته التعليمية في هذا المجال:

- *منثورات من أدب العرب*
- *مختار الشعر العربي*)جزءان(

[٣] الحسني محمد الرابع الندوي، مقالات في التربية والمجتمع، المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء، بلكنؤ، 2004، ص 62

- *تاريخ الأدب العربي – العصر الإسلامي*
- *الأدب العربي بين عرض ونقد*
- *معلم الإنشاء*)الجزء الثالث(
- *منثوارات من أدب العرب*

ويُعد كتابه الشهير *منثورات من أدب العرب* بمثابة سلّم تمهيدي ومدخل إلى كتاب *مختارات من أدب العرب* للشيخ أبي الحسن الندوي، وقد حظي هذا الكتاب بقبول واسع وانتشار كبير، خاصة في المدارس العربية والجامعات والكليات المنتشرة في طول البلاد وعرضها. فبينما كان كتاب *مختارات من أدب العرب* موجّهًا لطلاب المستوى المتوسط والعالي، برزت الحاجة إلى كتاب يملأ الفراغ بين *القراءة الراشدة ومختارات من أدب العرب*، فكان هذا الكتاب تلبية موفّقة لتلك الحاجة. وقد قال أبو الحسن علي الحسني الندوي في مقدمة كتاب "منثورات من أدب العرب":

"وقد جمع فيه المؤلف بين النثر البليغ، والشعر الرقيق، والأدب القديم، والأدب الحديث، فجاء كتابه مجموعة جامعة تغرس في قلوب الناشئة حب هذه اللغة الكريمة التي يدرسونها، وحب الأخلاق والأغراض التي يحملها أدبها، وحب المجتمع الذي عاشت فيه هذه اللغة وآدابها، ويدفعهم إلى تقليد هذه الأساليب الأدبية السهلة الطبيعية، ويرون أن كل ذلك ميسور، فنشأ فيهم الثقة بنفوسهم وبدينهم ولغتهم وقريحتهم"[٤].

جمع الأستاذ محمد رابع الحسني الندوي في مؤلفه المختارات من مقالات نخبة من كبار المؤرخين، وعمالقة الأدب الذين عُرفوا في زمانهم بسعة خبرتهم وعلوّ كعبهم في البيان والكتابة، فانتقى نصوصًا تزخر بالغذاء الفكري والعلمي والأدبي. تنوعت مواده بين ما ورد في *سيرة ابن هشام*، *ونزهة الخواطر* للشيخ عبد الحي الحسني، *والأمالي* لأبي علي القالي، وكتابات ابن عبد ربه، وابن قتيبة الدينوري، وأبي الفرج الأصفهاني، وعبد الله بن المقفع، والدكتور طه حسين، ومصطفى لطفي المنفلوطي، والشيخ علي الطنطاوي، وابن الجوزي، والفضيل بن عياض، وأحمد أمين، وجرجي زيدان، وغيرهم من العلماء والأدباء والربانيين.

[٤] الحسني أبو الحسن علي الندوي في مقدمة منثورات من أدب العرب لمحمد الرابع الندوي، مؤسسة الصحافة والنشر، ندوة العلماء، بلكنؤ، 2023، ص ٧

وقد حرص الأستاذ رابع على أن تحتوي هذه النصوص على ما يغذّي العقل والوجدان معًا، ويمنح القارئ، في مرحلة مبكرة من عمره، فرصة التعرف على أساليب الكبار من أعلام العربية، فينشأ الطفل على الذوق الأدبي الرفيع، ويُصقل سلوكه وتتشكل أخلاقه وعاداته من خلال ما يقرأه.

ولم يكن هذا الانتخاب أمرًا يسيرًا كما قد يظنه البعض، بل كان عملاً بالغ الصعوبة، تطلّب فكرًا ناضجًا وذوقًا أدبيًا مرهفًا، ومقياسًا دقيقًا يقوم على تحقيق أهداف تربوية سامية، أبرزها: تزكية النفوس، وتنمية الذوق الأدبي، وإيقاظ الشعور الديني واللغوي، وتكوين شخصية متكاملة الأخلاق والسلوك، وتوجيه الجيل الجديد نحو نموذج مثالي صالح، وعمل بنّاء هادف. وقد أشار إلى ذلك الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي في مقدمة هذا الكتاب بقوله: " إنه اقتبس من كتب السيرة والتاريخ والأدب والدين قطعاً نابضة مشرقة الديباجة، واضحة الفكرة إسلامية النزعة، تغذي الملكة الأدبية والعاطفة الدينية في وقت واحد، وتمثل الأخلاق العربية الفاضلة والحضارة الإسلامية المثلى"[٥]

يقول الاستاذ محمد الرابع الندوي في مقدمة كتابه "منثورات من أدب العرب" "وقد قام أبناء دار العلوم لندوة العلماء بدور محمود وعمل مشكور في هذا المجال، ووضعوا كتباً جديدة تعلم اللغة والأدب بدقة وإحكام، تزود الطالب في نفس الوقت بمعارف إسلامية صافية رشيدة ، وتمكنت دار العلوم بجهود هؤلاء من الحصول على سلسلة من الكتب وضعت في ضوء التجارب الحديثة، وفقاً لنفسيات الدارسين والطلبة، ملائمة لأذهانهم ومقدراتهم العلمية والعقلية، وكان كتاب مختارات من أدب العرب للأستاذ الجليل السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي أول كتاب ظهوراً وأكثره نجاحاً في هذه السلسلة، تلته كتب صغيرة أخرى له ولغيره ، من أجزاء "قصص النبيين" و"القراءة الراشدة" وغيرهما من كتب في الأدب ، والقواعد، والإنشاء"[٦].

من بين الكتب التي لعبت دورًا مهمًا في نشر اللغة العربية في الهند، يأتي كتابه المعروف *مختار الشعر العربي* في جزئين. وقد تم اختياره بعناية نظرًا لقيمة الشعر العربي الأدبية واللغوية الكبيرة، وأهميته القصوى في الثقافة العربية. هذا الكتاب نال اهتمامًا بالغًا من العلماء والمختصين باللغة

[٥] الحسني محمد الرابع الندوي مقدمة منثورات من أدب العرب، مؤسسة الصحافة والنشر، ندوة العلماء، بلكنؤ، 2023، ص ٧

[٦] الحسني محمد الرابع الندوي مقدمة منثورات من أدب العرب، مؤسسة الصحافة والنشر، ندوة العلماء، بلكنؤ، 2023، ص 14

العربية، إذ يُدرَّس الشعر العربي في كل مدرسة أو معهد يعنى بتعليم اللغة العربية على مستويات مختلفة في جميع أنحاء الهند.

وبفضل هذا الكتاب، أدرجت *دار العلوم ندوة العلماء* الشعر العربي في مقرراتها الدراسية، بدءًا من المرحلة الابتدائية وحتى المرحلة العليا، مما ساعد في تعزيز فهم الطلاب لهذه الجوانب الأدبية الهامة للغة العربية، وشجعهم على التفاعل مع الشعر العربي بأسلوب منهجي وراقي. يقول الاستاذ الرابع في مقدمة كتابه "مختار الشعر العربي، الجزء الأول":

"قررت دار العلوم ندوة العلماء في مناهج الدراسات العليا في كلية اللغة العربية، بصورة واسعة، وفي كلية الشريعة وأصول الدين بصورة محدودة، مختارات شعرية من العصر القديم والعصر العباسي، وجعلت هذه المقررات، موزعة في مختلف السنوات من الدراسات العليا بحيث تجمع طبقات عصور الشعر العربي من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي، فكان شعر العهد الإسلامي من مقررات السنة الأولى من الدراسات العليا، وكان شعر العهدين الجاهلي والعباسي من مقررات السنة الثانية من الدراسات العليا"[٧].

ولكن كانت المشكلة أمام مسؤولي دار العلوم ندوة العلماء أن القصائد الموضوعة في المقرر الدراسي في مستويات مختلفة كانت موزعة و منتشرة في الدواوين والكتب الشعرية المختلفة، فكان الحصول على جميع هذه الدواوين والكتب الشعرية للطلاب والوصول إلى القصائد المختارة لصفوفهم صعبا للغاية، ويقول صاحب الكتاب السيد محمد رابع حسني في مقدمة كتابه "وكانت النماذج الشعرية المختارة من دواوين وكتب شعرية مختلفة وكثيرة، وكان الحصول عليها لطلابها مشكلة، حيث إن الكتب والدواين قد تكون صخمة، والقصائد المختارة منها، تكون مبعثرة فيها وقليلة، فلا يمكن أن يسد العدد الحاصل من هذه الكتب حاجة جميع طلابها، فأرادت دار العلوم ندوة العلماء أن تجمع هذه القصائد في مجموعة واحدة، وتطبعها أو تصورها حتى تغني هذه المجموعة عن طلب الكتب الضخمة المتعددة لموضوع واحد محدود"[٨]

جاء كتاب *مختار الشعر العربي* في جزئين، الذي ألفه السيد محمد رابع الحسني، ليملأ فجوة كبيرة في مناهج الدراسات العليا في *كلية اللغة العربية وكلية الشريعة وأصول الدين في دار العلوم ندوة*

[٧] رابع حسني محمد رابع الندوي، مختار الشعر العربي، الجزء الأول، كلية اللغة العربية وآدابها، دار العلوم لندوة العلماء، ١٩٨٣، ص ٧
[٨] نفس المصدر

العلماء .هذا الكتاب لم يلبِّ احتياجات دار العلوم فحسب، بل استجاب أيضًا لمتطلبات المدارس والجامعات والمعاهد الأخرى في الهند، حيث قام السيد رابع بإعداده بطريقة جذبت انتباه المثقفين والمهتمين بتعليم اللغة العربية في البلاد. وقد نال الكتاب قبولًا واسعًا وإعجابًا كبيرًا في الأوساط العلمية والأدبية.

ساهم الكتاب في تعزيز فهم الطلاب للشعر العربي، بأساليبه المختلفة واتجاهاته في العصور المختلفة، بالإضافة إلى أساليب شعرائه البيانية. ولم يكن اختيار القصائد في هذا الكتاب عشوائيًا، بل قام المؤلف بمراجعة آلاف القصائد من دواوين ومجاميع شعرية متنوعة، وانتقى منها ما يناسب مستوى الطلاب العقلي والتعليمي. هذا الاختيار لم يكن مجرد انتقاء أدبي، بل كان يهدف إلى تربية الطلاب في جوانب أدبية ودينية وأخلاقية وعقلية، حيث تشتمل معظم القصائد على أبيات تحمل القيم الدينية والخلقية جنبًا إلى جنب مع القيم الأدبية مثل الفخر، والحماسة، والشجاعة، والشهامة، والغيرة، والحمية، والعقل، والحكمة، ومكارم الأخلاق، وغيرها من القيم الإنسانية السامية.

وقد أضاف المؤلف في بداية قصائد كل شاعر نبذة مختصرة عن حياته، تضمنت عدة جمل تصور خلفيته الأدبية والدينية والاجتماعية، وتسلط الضوء على أسلوبه الأدبي وخصائصه الشعرية، وكذلك مزاياه التي تميزت بها أعماله في مجال معين، مما جعله يختلف عن غيره من الشعراء في عصره. كما تناول الكتاب مكانة كل شاعر الأدبية وأهميته في مجال الشعر والأدب، مشيرًا إلى كيف كان يختلف عن شعراء عصره في أسلوبه ومضامينه.

إضافة إلى ذلك، شرح المؤلف الكلمات الصعبة في الشعر بشكل وافٍ، موضحًا معاني الأبيات ومفهومها بأسلوب سهل وواضح، مما يسهل على الطلاب فهمها. كما أشار إلى القضايا الأدبية المهمة التي كانت سائدة في تلك الحقبة، مثل قضية شعر النقائض وغيرها من القضايا الأخرى. هذه الشروحات جميعها ساعدت الطلاب على التفريق بين أساليب الشعراء المختلفة، مما أتاح لهم فرصة التدرج في تعلم اللغة العربية بشكل ممنهج، والوصول إلى مستويات تعليمية أعلى.

الكتاب الآخر في هذه السلسلة هو "معلم الإنشاء" (الجزء الثالث)، والذي يُعد الحلقة الأخيرة في سلسلة المقررات الدراسية التي أعدها الأستاذ الرابع. في هذا الكتاب، تناول المؤلف طرق إعداد البحث وكتابة المقالات والإنشاء باللغة العربية بشكل مفصل. كما عرض قواعد وأصول الكتابة وفن بسط

الموضوعات باختصار، حيث لم يقتصر على بيان الأصول فقط، بل قدم أمثلة عديدة تهدف إلى تمرين الطلاب على الكتابة وإعداد الموضوعات.

حدد المؤلف كيفية اختيار الموضوع، ثم تفصيله وشرح غرضه وعناصره وأجزائه الأساسية. كما كتب مقالاً إجمالياً مختصراً وفقاً لهذه المبادئ. وبيّن أن المهارة في الإطناب والإسهاب هي روح فن الإنشاء والتعبير.

يُعتبر هذا الكتاب بمثابة تمرين عملي على كتابة المقالات وإعداد البحوث باللغة العربية في المدارس العربية في الهند. وقد أصبح جزءاً أساسياً من المنهج الدراسي في دار العلوم ندوة العلماء وفروعها، وكذلك في المدارس الملحقة بها وغيرها من المؤسسات التعليمية في شبه القارة الهندية.

كما شكل هذا الكتاب مفتاحاً مهماً للطلاب في تعلم مهارات الكتابة العربية، حيث يتعلمون أصول وآداب الكتابة ويطبقونها في إعداد المقالات. وقد وفر الشيخ رابع منصة عملية لممارسة الكتابة من خلال إصدار صحيفة "الرائد" في عام ١٩٥٩م، وهي صحيفة عربية نصف شهرية لا تزال تصدر من ندوة العلماء. كما كان من مؤسسي مجلة "البعث الإسلامي" التي أصدرها الشيخ محمد الحسني بالتعاون مع الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي.

يكتب الأستاذ الرابع عن موقفه من الصحافة بأن "الصحافة فن من الفنون التي تساعد الإنسان بتعريفه بالأحوال والأحداث التي تحمل أهمية في مجتمعهم وفيما حولهم، وتكون سبب تربية للعقل الإنساني فيزداد بها الإنسان خبرة واطلاعاً على أحوال الآخرين، وهي فن جديد أصبح يمارسه أهل الخبرة والمؤهلات العلمية والأدبية منذ أن اخترعوا صناعة الطباعة كوسيلة للنشر والإعلام، أما قبل ظهور عمل الطباعة فقد كانت ذريعة تلك الطريقة الخطية التي كان أهل المعرفة يختارونها لنشر كلمتهم"[٩].

وهو كذلك يتحدث عن تأثير الصحافة قائلا بأن "الصحافة وسيلة مؤثرة من وسائل الإعلام والنشر، وهي وسيلة تربوية، تفوق الصحافة الكتب والإنتاجات الأدبية الأخرى نفعا وتأثيرا لأنها تنقل بسهولة الموضوعات والأفكار المتجددة إلى القراء وتعمل كأداة تربوية ناجحة إذا كان هدف

[٩] في مقدمة الصحافة العربية: نشأتها وتطورها لسعيد الأعظمي الندوي، مؤسسة الصحافة والنشر، ندوة العلماء، لكنو، ص ٥ .

الآخذين بزمامها نبيلا بناء، وتصبح أداة هدم وإفساد إذا كانت العقول المخططة من ورائها هدامة مفسدة، وهي بذاتها ليست إلا مجرد أداة ووسيلة، ولكنها تخضع لإرادة من يصرف زمامها، تتجلى أهمية الصحافة إذا كانت في نطاق الجرائد اليومية أو نحوها، فقد يجد قراؤها توجيهات وتعاليم يومية، بل يتلقون دروساً منظمة متلاحقة كالغذاء الرتيب"[١٠]

الأدب العربي بين عرض ونقد

وكان من أبرز كتبه في مجال المقررات الدراسية هو كتابه "الأدب العربي بين عرض ونقد" وهو كتاب مهم، و عمل رائد استعرض فيه الأستاذ رابع تطور الأدب العربي عبر العصور المختلفة، كما استعرض الأعمال الأدبية والشعرية التي تركت بصمة في تاريخ الأدب العربي، وناقش أساليبها وقيمتها الأدبية والثقافية، وتناول أهم القضايا في مجال النقد مثل الجمالية والأخلاق في الأدب، وتأثير الأدب في المجتمع، ودور الأدباء في تشكيل الوعي الجماعي، يتميز الشيخ الندوي في هذا الكتاب بأسلوبه الفريد الشائق في تحليل الأعمال الأدبية، قام بقراءات عميقة للنصوص وتحليلها تحليلا دقيقا، مع التركيز على بنيتها الأدبية وأساليب أصحابها المختلفة، وتوجيه النقد البناء للأعمال الأدبية مع الإشارة إلى سياقها التاريخي والثقافي، وقد أدخل الكتاب في مناهج المقررات الدراسية لدار العلوم ندوة العلماء والمدارس العربية المنتشرة في طول البلاد وعرضها وبصفة خاصة المدارس الملحقة بها.

نظرا إلى التنوع في نماذج النصوص الأدبية من النثر والشعر، واختلاف أساليب أصحابها المختلفة، وظهور النزعات والفنون الأدبية المختلفة في عصور مختلفة، قسم المؤلف كتابه إلى ثمانية أجزاء:

١. حقيقة الأدب
٢. نماذج العهد الأدبي من الأدب الجاهلي شعرا ونثرا
٣. نماذج عصر التحول والانقلاب وهو عصر الأدب الإسلامي الأول
٤. نماذج عهد المدنية والحضارة
٥. الأسلوب الأدبي قبل النهضة الحديثة
٦. بدء النهضة الحديثة

[١٠] الحسني محمد الرابع الندوي، مقالات في التربية والمجتمع، المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء، بلكنؤ، 2004، ص 97.

٧. ظهور الصحافة

٨. ظهور النزعة الجديدة

استهل المؤلف كتابه بذكر "حقيقة الأدب"، وبيان أصول الأدب وضوابطه وفنيته بالدقة والوضوح، وقام بتحليل نماذج النصوص الأدبية من الأدوار المختلفة تحليلا منطقيا مع بيان قيمتها الفنية بإيجاز، وذكر أساليبها المتغيرة وظهور االصحافة العربية وأهميتها في تطور الأدب العربي، وظهور النزعات الجديدة في الأدب العربي، هذا التقسيم حسب العصور الأدبية وأساليبها لا يبتعد عن تقسيم العصور التي تبتني على المؤثرات السياسية والاجتماعية التي يلتزمها المؤرخون المعاصرون.

وقد أشاد العلامة الشيخ أبو الحسن على الحسني الندوي بهذا التأليف في مقدمته قائلا:

"أقدم لهذا الكتاب الذي يسد حاجة وفراغاً في مكتبة تدريس اللغة العربية والأدب العربي في الهند".[١١]

تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)

كان إعداد سلسلة من كتب "تاريخ الأدب العربي" حاجة ملحة يقتضيها منهج ندوة العلماء التعليمي والتدريسي منذ البداية، بحيث تكون المنهجيات التعليمية فيها مكتفية بذاتها. لكن لم يتحقق هذا الهدف إلا بعد مرور قرن كامل تقريباً على إنشاء ندوة العلماء. وكان ذلك عندما شمر أستاذان جليلان من أساتذة ندوة العلماء عن ساعديهما لتأليف سلسلة من كتب تاريخ الأدب العربي، وهما الأستاذ محمد رابع الندوي والأستاذ واضح رشيد الندوي.

استقل الأستاذ واضح رشيد الندوي بقسم "العصر الجاهلي" من تاريخ الأدب العربي، بينما اختار الأستاذ محمد رابع الندوي تناول "تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي". وقد كان هذان الأستاذان الفاضلان اللذان يمثلان فكر ندوة العلماء ومنهجها، جديرين بأن يتصلا بهذه المهمة ويؤلفا هذه السلسلة على أفضل وجه، لأنهما عاشا في مهدها لفترة طويلة، وعَمِلا في مهنة التدريس داخل ندوة العلماء لمدة مديدة، مما جعلهم في مكانة تؤهلهم لإتمام هذا العمل العلمي الكبير.

وقد بين لنا الأستاذ رابع وجهة نظره الشخصية بصدد تأليفه الجزء الذي يتعلق به، وهو العصر الإسلامي قائلا:

[١١] الندوي، محمد الرابع الحسني، الأدب العربي بين عرض ونقد، مؤسسة الصحافة والنشر، ندوة العلماء، لكهنؤ، 1997، ص 5

كان على أن أعد الجزء الثاني في أدب العصر الإسلامي، فقمت بإعداده بما تيسر لي من البحث والدراسة، وبما حصل لي من توفيق الله سبحانه وتعالى، ولقد اعتنيت في هذا الجزء من تاريخ الأدب بمدى استجابة الأدب للنظرة الإسلامية للشعر والبيان، وأثر ذلك على فنيتهما، ومما لا شك فيه أن طبيعة الشعر والبيان تنبع من الوجدان الإنساني".[١٢]

قسم الاستاذ رابع هذا الكتاب، إلى قسمين، وكل قسم ينقسم إلى ثلاثة أبواب، وكل باب من القسم الأول يشتمل على فصلين، والباب الأول من القسم الثاني يشتمل على ثلاثة فصول والباب الثاني على أربعة فصول والباب الثالث على ثلاثة فصول.

فالقسم الأول يعالج تاريخ الأدب من صدر الإسلام إلى نهاية خلافة سيدنا على رضي الله عنه، فقام المؤلف فيه بتعريف الحياة العربية قبل الإسلام، وأوضاعها الاجتماعية، وسمتها الجمهوري، وأميتها، وأخلاقها سلباً وإيجاباً قبل ظهور الإسلام، وكذلك تحدث فيه عن تأثير الدين الإسلامي في حياة العرب، ودعائم أدبها الرئيسية، بما فيها الأدب المأثور من العهد الجاهلي، وظروف الحياة الجديدة، والقرآن الكريم، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، بما أن المؤلف كان من أهم الرواد للأدب الإسلامي، قد أسهب في بيان الدعامتين الأخيرتين (القرآن الكريم، وحديث الرسول عليه الصلاة والسلام)، وكذلك يتضمن القسم الأول من الكتاب موضوعات الشعر في صدر الإسلام، وأسباب ضعفه فيه، قلة إقبال الناس إليه، وموقف الإسلام منه، وميزان الإسلام له، وأغراضه قديما وحديثا، والالتزام الإسلامي فيه، كما ذكر عن أعلام الشعراء، ونماذج كلامهم حسب الموضوعات المختلفة، وكل ذلك بأسلوب رشيق ممتع، وبراعة لغوية.

وتناول المؤلف في القسم الثاني من الكتاب العوامل والمؤثرات التي غيرت حياة العرب الاجتماعية، ومن أبرز هذه المؤثرات: الدين الإسلامي، والسياسة الموحدة، والحالة الاقتصادية، والثقافية. كما عالج موضوعات متنوعة مثل النهضة الجديدة في الشعر، وقدم تعريفاً للمناطق الشعرية، بالإضافة إلى التطورات التي طرأت على الشعر في ذلك العصر.

خص المؤلف بالذكر عدة أنواع من الشعر مثل الغزل الرقيق، والشعر الجدلي (السياسي)، والنقائض، مع التركيز على التأثير الديني في الشعر. كما تناول الغزل العفيف أو العذري وأهم شعرائه، مبرزاً

[١٢] الندوي محمد الرابع الحسني، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، مؤسسة الصحافة والنشر، لكهنؤ، ١٩٩٨، ص 4

نماذج رائعة تلامس القلوب. ولم يغفل عن ذكر الغزل الإباحي أو القصصي، والغزل العام التقليدي، حيث قام ببيان ما فيه من مزايا أدبية مع الإشارة إلى مواطن ضعفه.

تطرق أيضاً إلى أغراض جديدة في الشعر، وأعطى اهتماماً خاصاً للشعر السياسي والديني، بالإضافة إلى شعر الأدب والحكمة والرجز. كما اهتم بتقديم شعر النقائض، وذكر تراجم حياة أبطالها الثلاثة: جرير، والفرزدق، والأخطل. وقدم تعريفا بعدد من أعلام الشعراء، كما تناول النثر ورجاله بالبحث، مع التركيز على الخطابة وأشهر الخطباء في ذلك العصر، مثل: زياد بن أبيه، وسحبان وائل، وقطري بن الفجاءة، والحجاج بن يوسف الثقفي، والحسن البصري، حيث وضعهم من بين الأوائل في هذا المجال.

أما في حديثه عن أكبر الكتاب وأهم الأدباء في العهد الأموي، فقد خص عبد الحميد الكاتب، إمام فن الرسائل، بفصل مستقل أبرز فيه خصائصه الكتابية ومميزاته التي جعلته يتربع على قمة هذا الفن.

وفي نهاية الكتاب، تناول موضوعات مهمة مثل التوقيعات، والروايات، والتدوين، ليختتم الكتاب بإيجاز رائع، وحسن بيان، ورشاقة أسلوب، ووضوح هدف، ومعلومات غنية، مع استعراض شامل لأساليب الأدوار المختلفة في الأدب والشعر.

والشئ المهم الذي سيلاحظه الدارس في هذا الكتاب هو إبراز ضرورة التأصيل والتصحيح، والتفريق بين الأصالة والتقليد الأعمى، وتزيد أهمية هذا الاتجاه المقتصد في خضم النظريات التي تظهر كل يوم كالحشائش البرية، ومن المؤسف جدا أننا نرى معظم مؤرخي تاريخ الأدب العربي في الشرق تلمذوا على موائد المستشرقين الغرب فاستفادوا منهم كما يستفيد التلاميذ الأوفياء من اساتذتهم، فلم يتنبهوا على مواضع الضعف والخلل، وحاكوهم محاكاة عمياء كما يحاكي الصغار الكبار، ويؤكد هذا المعنى الأستاذ واضح رشيد الندوي رحمه الله موضحا الاتجاه الاستشراقي قائلاً:

"كان تاريخ الأدب العربي منذ بدء التأليف فيه يخضع لأفكار المغتربين وتلامذة المستشرقين، والقوميين العرب، وغلب عليه طابع التقليد للفكر الأوروبي، وسيطر على هذه البحوث تأثير بحوث المستشرقين، فأثقل المؤرخون العرب كتبهم بآراء المستشرقين الذين كانت صلتهم باللغة العربية

ضعيفة، وفهمهم لطبيعة العرب القومية ضيقاً، وكانوا في دراساتهم منحازين إلى تصوراتهم القومية، وعقائدهم النصرانية واليهودية ".[١٣]

إن ظاهرة التقليد الأعمى للفكر الغربي تعد ظاهرة خطيرة استمرت لأكثر من قرنين من الزمن. إن الاطلاع على الثقافات الأخرى ليس عاراً ولا مرفوضاً، بل هو أمر ضروري في حياتنا الأكاديمية. لكن، نحن في حاجة إلى التمييز بين ما يجب رفضه وما يجب قبوله. فرفض ما لا يعنينا، وقبول ما يفيدنا، هو الأساس. ومن هنا، تأتي أهمية الإبداع والابتكار بدلاً من التبعية والتقليد الأعمى. هذا ما كان يشدد عليه شعار ندوة العلماء منذ البداية، وهو شعار منفرد وفريد، دعا إليه مسؤولوها من خلال كتاباتهم، وتأليفاتهم، ومحاضراتهم. كما دعوا إلى التمسك بـ "القديم الصالح والجديد النافع" في كل مجالات الحياة، بما في ذلك العلم، والثقافة، والفن، والتكنولوجيا.

الخاتمة:

بناءً على ما سبق، يمكننا القول بأن المواد الدراسية تلعب دوراً مهماً في تعليم أي لغة بشكل مؤثر. وبصفة خاصة، فإن تعليم اللغة العربية يتطلب مقررات دراسية متزنة وملائمة، بالإضافة إلى مناهج تدريس مناسبة، يقوم بإعدادها خبراء اللغة العربية الذين يمتلكون خبرة عميقة في هذا المجال. وكان الشيخ محمد رابع الحسني الندوي صاحب ثقافة واسعة وعلم عميق في الأدب العربي وتاريخه. وقد أسهمت الكتب والمواد الدراسية التي أعدها الأستاذ الرابع في تثقيف أفراد الأمة وتعليمهم، وهي من أنفع الكتب لنشر اللغة العربية في الهند، وأداة مؤثرة لسد الفراغ وإزالة مشكلة قلة المواد التعليمية.

وقد كان التركيز في جميع تأليفاته على التربية العملية والنظرية. كما أوضح الأستاذ رابع أن الإصلاح يجب أن يتم تدريجياً، بدءاً من الأساس وصولاً إلى القمة. وأهم ما ينبغي التركيز عليه في كل زمان ومكان هو الأخلاق الفاضلة. ومن خلال هذه المبادئ، يمكن للمسلمين التقدم والتطور في مجال تعليم اللغة العربية.

[١٣] الندوي، محمد واضح رشيد الحسني، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، مؤسسة الصحافة والنشر، ندوة العلماء، لكهنؤ، ٢٠١٠، ص 2322-

المصادر والمراجع:

١. أحمد جميل، حركة التاليف في الإقليم الشمالي الهندي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان
٢. رابع حسني محمد رابع الندوي، مختار الشعر العربي، الجزء الأول، كلية اللغة العربية وآدابها، دار العلوم لندوة العلماء، ١٩٨٣
٣. رابع حسني محمد رابع الندوي، مختار الشعر العربي، الجزء الثاني، كلية اللغة العربية وآدابها، دار العلوم لندوة العلماء، ١٩٨٣
٤. صحيفة الرائد، العدد الممتاز، الأعداد 54&65 من مايو إلى أغسطس 2023.
٥. مجلة "البعث الإسلامي" عدد، ممتاز، المجلد 69، سبتمبر، أكتوبر نوفمبر ٢٠٢٣م.
٦. المسالك والممالك: 105، نقلا عن أحمد جميل، حركة التاليف في الإقليم الشمالي الهندي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان،
٧. الندوي، محمد أكرم، بغية المتابع لأسانيد الشيخ محمد الرابع، المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء، لكناؤ، ٢٠٢٣
٨. الندوي، محمد الرابع الحسني، أضواء على الأدب الإسلامي، المجمع الإسلامي، لكناؤ 2017
٩. الندوي، محمد الرابع الحسني، الأدب العربي بيه عرض ونقد، مؤسسة الصحافة والنشر، لكهنؤ، ١٩٩٧
١٠. الندوي، محمد الرابع الحسني، العالم الإسلامي اليوم– قضايا وحلول، المجمع الإسلامي العلمي بلكناؤ، الطبعة الثانية:٢٠١١م.
١١. الندوي، محمد الرابع الحسني، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، مؤسسة الصحافة والنشر، لكهنؤ، ١٩٩٨
١٢. الندوي، محمد الرابع الحسني، معلم الإنشاء (الجزء الثالث)، شعبہ طبع واشاعت، مجلس تحقيقات ونشريات، دار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ، 1989،
١٣. الندوي، محمد الرابع الحسني، منثورات من أدب العرب، مؤسسة الصحافة والنشر، ندوة العلماء، لكهنؤ،2023
١٤. الندوي، محمد واضح رشيد الحسني، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، مؤسسة الصحافة والنشر، لكهنؤ، 2010

..... ❖❖❖❖❖ .....